الفَصْلُ الرَّابِعُ

خُطَبٌ سياسيَّةٌ شِيعيَّةٌ

obeikandl.com

obeikandl.com

(١) خُطْبَتانِ لِصَعْصَعَةَ بن صُوحانَ وعباسِ بنِ شَبيبٍ

١ ـ خُطْبَةٌ لِصَعْصَعَةَ بنِ صُوحانَ العَبْديِّ بالكُوفَةِ

تاريخ الرسل والملوك ٥: ١٨٥
والكامل في التاريخ ٣: ٤٢٧

بَلَغَ المُغيرَةَ بنَ شُعْبَةَ الثَّقفيَّ أنَّ الخَوارجَ عَزَمُوا على الخُروجِ عليه بالكوفةِ، فَبعثَ إلى رُؤَساءِ النَّاس، فَدَعاهم، وسألَ كُلَّ امْرىءٍ منهم أنْ يَكْفِيَهُ قَوْمَهُ، وحَذَّرَهم وأنْذَرَهم. فَرَجَعُوا إلى عشائرهم فَنَاشَدُوهم اللهَ والإسلامَ إلاَّ دَلُّوهم على مَنْ يَرَوْنَ أنه يريدُ أنْ يَهيجَ فتنةً، أو يُفارقَ جماعةً. وجاء صَعْصَعَةُ بن صُوحَان إلى عَبْدِ القَيس، وكانَ عَلَويَّ الهَوَى، فقامَ فيهم بَعْدَما صَلَّى العَصْرَ فقالَ:

« يا مَعْشرَ عبادِ اللهِ، إنَّ اللهَ، وله الحمدُ كثيراً، لمَّا قَسَم الفضلَ بينَ المسلمينَ خصَّكم منه بأحسنِ القَسْمِ[1]. فأجبْتُمْ إلى دينِ اللهِ الذي اختارَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ، وارْتَضَاهُ لملائكتِهِ ورُسلِه. ثم أقَمْتُمْ عليه حتى قَبضَ اللهُ رسولَهُ ﷺ. ثم اختلفَ الناسُ بعدَه فَثَبَتَتْ طائفةٌ، وارتدَّتْ طائفةٌ، وأدْهَنَتْ[2] طائفة، وتَربَّصَتْ[3] طائفةٌ. فَلَزِمْتُمْ دينَ اللهِ إيماناً بهِ وبرسُولِهِ، وَقَاتَلْتُم المرتدِّين حتى قام الدِّين، وأهلَكَ اللهُ الظالمينَ. فلم يزلِ اللهُ يزيدُكُم بذلكِ خيراً في كلِّ شيءٍ، وعلى كلِّ حالٍ، حتّى اختلفتْ الأمَّةُ بينها، فقالت طائفةٌ: نريدُ طلحةَ والزبيرَ وعائشةَ. وقالت طائفةٌ: نريدُ أهلَ المَغْرِبِ، وقالت طائفةٌ: نريدُ عبدَ اللهِ بنَ وهبٍ الرَّاسبيَّ، راسبَ الأزْدِ. وقلتم أنتم: لا نريدُ إلاَّ أهْلَ البيتِ الذينَ ابْتَدأنا اللهُ من قِبَلِهم بالكَرامةِ، تسديداً من اللهِ لكم وتوفيقاً. فلم تزالوا على الحقِّ لازمينَ له، آخِذِين بهِ، حتى أهْلَكَ اللهُ بكم وبمن كان على مِثْلِ هُدَاكم ورأيِكُمْ

(١) القَسْم بالفتح: مَصْدر قَسَمَ الشيءَ يَقْسِمُهُ قَسْماً. أي: قِسْمة عادلة.
(٢) أدْهَنَ: صَانَعَ وَلانَ.
(٣) تَرَبَّص: مكث وانتظر.

النَّاكِثِينَ[١] يومَ الجمل، والمارِقِين[٢] يومَ النَّهر[٣]. ولا قومَ أعْدَى للهِ ولكم ولأهلِ بيتِ نبيِّكم ولجماعةِ المسلمين من هذه المارقةِ الخاطئةِ، الذين فارَقوا إمامَنا، واسْتَحَلُّوا دماءَنا، وشَهِدُوا علينا بالكُفْرِ. فإياكم أنْ تُؤْووهم[٤] في دُوركم، أو تكتّموا عليهم[٥]، فإنه ليسَ يَنْبغي لحيٍّ من أحياءِ العربِ أنْ يكون أعدَى لهذه المارقةِ منكم. وقد والله، ذُكِر لي أنَّ بعضهم في جانبِ من الحيِّ، وأنا باحثٌ عن ذلك وسائلُ، فإنْ كان حُكيَ لي ذلك حقّاً تقرّبتُ إلى الله تعالى بدمائِهم، فإنَّ دماءَهم حلالٌ. ثم قال: يا معشرَ عبدِ القيس، إنَّ وُلاتَنا هؤلاء هم أعرفُ شيءٍ بكم وبرأيكم، فلا تَجْعَلوا لهم عليكم سَبيلاً، فإنَّهم أسرَعُ شيءٍ إليكم وإلى أمثالِكم».

٢ ـ خُطْبَةٌ لِعَابسِ بنِ أبي شَبيبٍ الشَّاكِريِّ بالكوفَةِ

تاريخ الرسل والملوك ٥: ٣٥٥

أرْسَلَ الحُسَيْنُ بنُ عليٍّ ابنَ عمِّهِ مُسْلِمَ بنَ عَقِيلٍ إلى الكوفةِ، وبعثَ معه بكتابٍ إلى وُجُوهِ الشيعةِ. فلما دخلَ مسلمٌ الكوفةَ نزلَ دارَ المختارِ بنِ أبي عُبَيْدٍ، وأقبلَت الشِّيعةُ تَختَلِف إليه، فكلما اجْتَمَعت إليه جماعةٌ منهم قرأ عليهم كتابَ الحُسَيْنِ، فأخذوا يَبْكُونَ ويَعِدُونَهُ من أنفسِهم القتالَ والنُّصْرَةَ.

فقام عابسُ بنُ أبي شَبيبٍ الشَّاكريُّ، فحَمِدَ الله وأثنَى عليه، ثم قال:

«أمَّا بعدُ، فإني لا أخْبِرُكَ عن الناس، ولا أعلمُ ما في أنْفُسِهم، وما أغرُّكَ منهم، والله أُحَدِّثُكَ عما أنا مُوطِّنٌ[٦] نفسي عليه. والله لأجيبَنَّكُم إذَا دَعَوْتَهُمْ، ولأقاتلنَّ معكم عَدوَّكم، ولأضْرِبنَّ بسيفي دُونكم حتى ألقَى الله، لا أريدُ بذلك إلاَّ ما عندَ الله».

---

(١) الناكثون: جمع ناكث، وهو الذي نَقَضَ العَهْدَ. وأراد بهم أهْلَ وقعة الجمل، لأنهم كانوا بايعوا علي بن أبي طالب، ثم نَقَضُوا بيعته وقاتلوه.

(٢) المارقون: جمع مارق، وهو الذي يَجُوزُ الدِّينَ ويخرقُهُ ويَتَعَدَّاه كما يَخْرُقُ السهمُ المرميَّ به ويخرج منه، وأرادَ بهم الخوارجَ لِغُلُوِّهم في الدِّين.

(٣) وسكت عن ذكر أهْلِ الشام، لأن السلطان كان حينئذٍ سلطانهم.

(٤) آواه: ضَمَّه إليه وحَاطَهُ وحَفِظَهُ وتَفَقَّدَهُ ورَعَاه.

(٥) تكتم عليه: بالغ في كتمانه، أي في حِفْظِه وإخفائه.

(٦) وَطَّنَ نَفْسَهُ على الشَّيءِ فتَوطَّنَتْ: حَمَلَها عليه فتَحمَّلَتْ وذَلَّتْ.

(٢) خُطَبٌ للحُسَيْنِ بنِ عليٍّ

١ ـ خُطْبَةٌ للحسين بن عليٍّ بذي حُسَمٍ

تاريخ الرسل والملوك ٥: ٤٠١

والكامل في التاريخ ٤: ٤٧

لـمَّا بَلَغَ عُبَيْدَ ا للهِ بنَ زياد أنَّ الحسينَ بن عَليٍّ أَقْبَلَ إلى الكوفةِ، بَعَثَ الحُصَيْـنَ بـنَ نُمَيْرٍ التَّميميَّ إلى القادسية، وقَدَّمَ الحُرَّ بنَ يزيدَ التميميَّ بينَ يَدَيْهِ في ألفِ فارسٍ، فجاءَ حتى وَقَـفَ مُقَابلَ الحسين بذي حُسَمٍ. و لم يزلْ مُواقِفاً له حتى حَضرَتْ صلاةُ الظهر، فـأمرَ الحسينُ مَؤَذِّنَهُ بالأذان، فأذَّنَ. فلمَّا حَضرتِ الإقامة خرج الحسينُ إليهم، فَحَمِدَ ا للهَ وأثنى عليه، ثـم قالَ :

«أيُّها الناسُ، إنَّها معذرةٌ إلى ا للهِ عزَّ وجلَّ وإليكم، إنِّي لم آتِكُمْ حتَّى أتَتْني كُتُبُكم، وقَدِمَتْ عليَّ رُسُلكم : أن اقْدِمْ علينا، فإنَّه ليس لنا إمامٌ، لعلَّ ا للهَ يَجْمَعنا بك على الهُدى. فإنْ كنتم على ذلك فقدْ جئْتُكم ، فإنْ تُعْطُوني ما أطمئنُّ إليه من عُهُودكم ومَواثِيقِكم[١] أقْـدِمْ مِصْرَكـم، وإنْ لم تَفْعَلُوا وكنتمْ لِمقْدَمي كارهينَ انْصَرَفْتُ عنكم إلى المكانِ الذي أقبلتُ منه إليكم».

٢ ـ خُطْبَةٌ للحُسَيْنِ بنِ عليٍّ بذي حُسَمٍ، حينَ أحَسَّ بالخُذْلان

تاريخ الرسل والملوك ٥: ٤٠٣

لـمَّا اشْتَدَّ الأمـرُ بالحُسَيْنِ بـنِ عليٍّ بـذي حُسَـمٍ ، ورأى أنَّ أهْـلَ الكُوفـةِ تَنكَّـرُوا لَـه، وأحْجَمُوا عن نُصْرَتِه ، قامَ في أصْحابه، فحمدَ ا للهَ وأثنى عليه، ثمَّ قالَ :

«إنَّه قد نَزَلَ من الأمرِ ما قَدْ تَرَوْنَ. وإنَّ الدنيا قد تَغَيَّرتْ وتَنكَّرَتْ ، وأدْبَـرَ[٢] مَعْروفُها واسْتَمرَّت[٣] جِدًّا ، فلم يَبْـقَ منها إلا صُبابةٌ[٤] كَصُبابةِ الإنـاءِ، وخَسِيسُ[٥] عيـشٍ كـالمَرْعَى

(١) المَوَاثِيق : جمع ميثاق : وهو العَهْدُ ، من المُوَاثقة : أي المُعَاهدة .

(٢) أدْبَرَ : وَلَّى وذَهَبَ .

(٣) مَرَّ الشيءُ واسْتَمرَّ وأمَرَّ : صار مُرًّا من المرارة ضد الحلاوة .

(٤) الصُّبَابَةُ : البقيةُ اليسيرةُ من الماء واللَّبن وغيرهما تَبْقَى في الإناء والسِّقاء .

(٥) الخَسيسُ : المَرْذُولُ.

الوَبيلِ[١]. ألاَ تَرَوْنَ أنَّ الحقَّ لا يُعْمَلُ به، وأنَّ الباطلَ لا يُتناهَى عنه! ليَرْغَبِ المؤمنُ في لقـاء الله مُحِقاً، فإني لا أرَى الموتَ إلاَّ شهادةً، ولا الحياةَ مع الظالمينَ إلاَّ بَرَماً[٢]».

٣ ـ خُطْبَةٌ للحُسَيْنِ بنِ عليٍّ، حينَ هَمَّ بالانْصِرافِ عن ذي حُسَمٍ

تاريخ الرسل والملوك ٥: ٤٠٢

والكامل في التاريخ ٤: ٤٧

لـمَّا أرادَ الحسينُ بنُ عليٍّ أنْ يَرْحَلَ عن ذي حُسَمٍ وصَلَّـى العَصْرَ بأصحابه وأصْحـاب يزيدَ بنِ الحُرِّ التميميِّ ، ثمَّ سَلَّمَ ، اسْتَقْبَلَ القَوْمَ بوَجْهِهِ، فَحَمِدَ الله وأثْنى عليه ، ثمَّ قالَ :

«أما بَعْدُ ، أيُّها النَّاسُ ، فإنَّكم إنْ تَتَّقُوا وتَعْرِفُوا الحقَّ لأَهلِـهِ يكـنْ أرْضَـى للهِ. ونحـنُ أهْـلُ البَيْتِ أوْلَى بولايةِ هذا الأمرِ عليكم من هـؤلاء الـمُدَّعِينَ[٣] مـا ليـسَ لهـم ، والسَّـائِرينَ فيكـم بالجوْرِ والعُدْوَانِ. وإنْ أنتم كَرِهْتُمُونـا، وجَهِلْتُـمْ حَقَّنـا، وكـان رأيُكـم غيـرَ مـا أتَتْنـي كُتُبكـم ، وقَدِمَتْ به عليَّ رُسُلكم ، انصرَفتُ عنكم».

٤ ـ خُطْبَةٌ للحُسَيْنِ بنِ عليٍّ، بَعْدَ أنْ مُنِعَ من الرَّحيلِ عن ذي حُسَمٍ

تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٤٠٣

والكامل في التاريخ ٤: ٤٨

أَمَرَ الحُسَيْنُ بنُ عليٍّ أصْحَابَهُ بالانْصِرَافِ من ذي حُسَمٍ ، فمنَعَهُ الحرُّ بـنُ يزيـدَ التَّميمـيُّ من ذلك، وأراد أن يَنْطَلِقَ به إلى عُبَيْدِ الله بن زياد، فأبَى. فقال له : إني لم أُومَرْ بقتالكَ، وإنما أُمِرْتُ ألاَّ أُفَارِقَكَ حتى أُقدِمَكَ الكوفة، فإذا أبَيْتَ فَخُذ طريقاً لا تُدْخِلُكَ الكُوفَـةَ، ولا تَـرُدُّكَ إلى المدينةِ، تكونُ بيني وبينَكَ نَصَفاً، حتى أكتـب إلى ابـن زيـادٍ، وتكتـبَ أنـتَ إلى يزيـدَ بـن معاويةَ، إنْ أرَدْتَ أنْ تكتبَ إليه، أو إلى عبيد الله بن زيادٍ إنْ شئتَ، فلعلَّ الله أنْ يـأتيَ بـأمْرٍ يَرْزُقُني فيه العافيةَ من أنْ أبْتَلَى بشيءٍ من أمْرِكَ! فتَياسَرَ الحُسَيْنُ عن طريقِ العُذَيْبِ والقادسيَّةِ ، والحرُّ يُسَايِرُهُ .

---

(١) الوَبيلُ : الوَخيمُ .

(٢) البَرَمُ : السَّأمُ والضَّجَرُ والمَلَلُ .

(٣) ادَّعَى الشيءَ : زعم أنه له حقاً كان أو باطلاً ، أو انْتَحَله ونَسَبَهُ لنفسِه وهو ليس له .

فلـمَّا كان الحسينُ بالبَيْضةِ، وهي ماءٌ بينَ واقِصَةَ إلى العُذَيْبِ لبني يربُوعٍ ، خطبَ أصحابَهُ وأصْحَابَ الحرِّ ، فحمدَ اللهَ وأثْنَى عليه ، ثمَّ قَالَ :

« أيُّها الناسُ ، إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « مَنْ رأى سُلْطاناً جائراً مُسْتَحِلاً لحُرَمِ[1] اللهِ، ناكثاً لعَهْدِ اللهِ ، مخالفاً لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ، يَعْمَلُ في عبادِ اللهِ بالإثمِ والعُدوانِ ، فلم يُغَيِّرْ عليهِ بفعلٍ ولا قَوْلٍ ، كانَ حقّاً على اللهِ أنْ يُدْخِلَهُ مُدخَلَه » . ألا وإنَّ هؤلاءِ قد لَزِمُوا طاعةَ الشيطانِ ، وتركُوا طاعةَ الرَّحمنِ ، وأظهرُوا الفسادَ ، وعَطَّلُوا الحدودَ، واستأثرُوا بالفيءِ ، وأحلُّوا حَرامَ اللهِ ، وحرَّموا حَلالَه . وأنا أحقُّ مَنْ غَيَّرَ ، قد أتتني كُتُبكم ، وقَدِمَتْ عليَّ رُسُلكم ببَيْعتكم : أنَّكم لا تُسْلِموني ولا تَخْذُلوني، فإنْ تَمَّمتُمْ عليَّ بَيْعَتكم تُصِيبُوا رُشْدَكم. فأنا الحسينُ بنُ عليٍّ ، وابنُ فاطمةَ بنتِ رسولِ اللهِ ﷺ ، نفسي مع أنفسِكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم فيَّ أسْوةٌ، وإنْ لم تَفْعَلُوا ونَقَضتُمْ عَهْدَكم، وخَلَعتُم بَيْعتي من أعناقِكم ، فلَعَمْري ما هي لكم بنُكْرٍ[2]! لقد فَعَلْتُموها بأبي وأخي وابنِ عمي مُسْلِمٍ، والمغرورُ من اغترَّ بكم[3]، فحظُّكم أخْطأتم، ونَصِيبَكم ضَيَّعتمْ، ومَن نكثَ فإنما يَنكُثُ على نفسِه، وسيُغني اللهُ عنكم، والسلام عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاته ».

٥ ـ خُطْبَةٌ للحُسَيْنِ بنِ عليٍّ، حينَ خَيَّرَهُ عُبَيْدُ اللهِ بنُ زيادٍ بين الاسْتِسْلامِ والقَتْلِ

تاريخ الرسل والملوك ٥: ٤١٨

والكامل في التاريخ ٤: ٥٧

كتبَ عُبَيْدُ اللهِ بنُ زيادٍ إلى عمرَ بنِ سَعْدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ أنْ يَعْرِضَ على الحسينِ بنِ عليٍّ وأصْحَابِهِ النُّزُولَ على حُكمِهِ والاسْتِسْلامَ له، فإنْ أَبَوْا زَحَفَ إليهم فَقَتَلهم ومَثَّلَ بهم. فلـمَّا أبلَغَهم ذلك سأله رَسُول الحسينِ أنْ يُمْهِلهم إلى الغد ، فوافق ورَجَع عنهم، فَجَمعَ الحسينُ أصْحَابَهُ ، فقالَ :

---

(١) حُرَمُ الله : جمع حُرْمَةٍ ، وهي ما لا يَحِلُّ لك انْتِهاكُه .

(٢) أنكرَ الشيءَ إنكاراً : جَهِلَهُ و لم يَعْرِفهُ ، والاسم النُّكْرُ .

(٣) اغْتَرَّ : قَبِلَ الغُرورَ ، أي انْخَدَع .

« أُثني على الله تباركَ وتعالَى أحْسَنَ الثّناء ، وأحْمَدُهُ على السَّرَّاء والضَّرَّاء. اللهم إنّي أحْمَدكَ على أنْ أكْرَمْتَنا بالنُّبوَّةِ ، وعلّمْتَنا القرآن ، وفَقّهتنا في الدِّين ، وجَعَلْتَ لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدةً ، ولم تَجْعَلْنَا من المشركينَ. أما بعد ، فإني لا أعلَم أصحاباً أولَى ولا خَيْراً من أصحابي، ولا أهلَ بيتٍ أبرَّ ولا أوْصَلَ من أهل بيتي، فَجَزَاكم الله عني جميعاً خيراً. ألا وإني أظنُّ يومَنَا من هؤلاء الأعداء غداً. ألا وإني قد رأيتُ لكم فانْطَلِقُوا جميعاً في حلٍّ[1] ليس عليكم مِنّي ذِمام[2] ، هذا ليلٌ قد غَشِيَكم، فاتّخِذُوه جَمَلاً[3] ».

٦ ـ خطبة لِلْحُسَيْنِ بنِ عَليٍّ، قبلَ أنْ يُقَاتَل ويُقْتَلَ

تاريخ الرسل والملوك ٥: ٤٢٤

والكامل في التاريخ ٤: ٦١

لـمَّا رَفَضَ الحسينُ بنُ عليٍّ ما عُرِضَ عليه من الاسْتِسْلاَم لِعُبَيْدِ الله بنِ زيادٍ أمَرَ عمرُ بنُ سَعْدِ بن أبي وَقَّاصٍ جُنْدَهُ بالقِتال. فَلـمَّا دَنَوْا من الحسين رَكِبَ رَاحِلتَهُ ، وتَقَدَّمَ إلى القومِ حتى اقْتَرَب منهم، ونادَى بأعْلى صَوْتِه دعاءً يُسْمِعُ جُلَّ النَّاس، فقالَ:

« أيُّها الناسُ ، اسْمَعُوا قَوْلي ولا تُعجلوني حتّى أعِظَكم بما يَحِقُّ لكم عليَّ ، وحتى أعتذرَ إليكم من مَقْدَمي عليكم. فإنْ قَبِلْتُمْ عُذْري ، وصَدَّقتم قَوْلي ، وأعْطَيْتُموني النَّصَفَ[4]، كنتمْ بذلك أسعدَ، ولم يكنْ لكم عليَّ سبيلٌ. وإنْ لم تَقْبَلُوا منّي العُذْرَ ، ولم تُعطُوا النَّصَفَ من أنفسكم ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١] . ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأعراف: ١٩٦].

ثم حَمِدَ الله وأثْنَى عليه ، وصلَّى على محمدٍ ﷺ ، وعلى الملائكةِ والأنبياءِ، ثم قال :

---

(١) الحِلُّ : الحَلاَلُ . وهذا لك حِلٌّ : أي مُحَلَّلٌ مُبَاحٌ .

(٢) الذمام : الحقُّ والحُرْمَةُ .

(٣) في المَثَل : (اتَّخذَ اللَّيْلَ جملاً) يُضْرَبُ لمن يَعْمَلُ العملَ بالليل من قراءةٍ أو صلاةٍ أو غيرهما مما يركَبُ فيه اللَّيْلَ. (بمجمع الأمثال: ١: ٢٣٧، واللسان: جمل). وقال ابن منظور : (يقال للرَّجل إذا سَرَى لَيْلَتَهُ جمعاءَ أو أحياها بصلاةٍ أو غيرها من العبادات : اتَّخذ الليلَ جملاً ، كأنه ركبه و لم يَنَمْ). (اللسان : جمل).

(٤) النَّصَفُ : الإنصاف ، أي إعطاء الحق .

أمَّا بعدُ ، فانْسِبُوني فانْظُرُوا مَنْ أنا! ثم ارْجعُوا إلى أنْفُسِكُم وعَاتِبُوها ، فـانْظُرُوا هـل يَحِـلُّ لكم قَتْلي وانتهاكُ حُرْمتي؟ ألستُ ابنَ بنتِ نَبيِّكم ﷺ ، وابنَ وصيِّهِ وابنَ عمِّـه، وأوَّل المؤمنـينَ با للهِ والمصدِّق لِرَسُوله بما جاءَ به من عندِ ربِّه! أوَ ليس حَمْزةُ سيِّدُ الشُّـهداءِ عـمُّ أبـي! أوَليـس جَعْفَرٌ الشَّهيدُ الطَّيارُ ذو الجَنَاحَيْنِ عمِّي! أوَلَم يَبْلغْكـم قَـوْلٌ مُسْـتَفِيضٌ فيكـم : إنَّ رسـولَ ا للهِ، صلى ا لله تعالى عليه وآلـه وسـلم قـال لي ولأخـي : «هـذان سيِّدا شـبابِ أهْـلِ الجَّنـةِ » ! فـإنْ صَدَّقتموني بما أقولُ، وهو الحقُّ، فوا للهِ ما تَعَمَّدْتُ كذباً مذ علمـتُ أنَّ ا للهَ يمقـتُ عليـه أهْلَـهُ، ويُضِرُّ به من اخْتَلَقَهُ. وإن كذَّبْتمُوني فإنَّ فيكم مَنْ إنْ سألتُموهُ عن ذلك أخبَرَكم . سَلُوا جـابرَ ابنَ عبد ا للهِ الأنصاريَّ، أو أبا سعيدٍ الخُدْريَّ ، أو سَهْلَ بن سعدٍ السَّاعديَّ، أو زَيْـدَ بنَ أرقـم ، أو أنسَ بنَ مالكٍ ؛ يُخْبركم أنَّهم سَمِعُوا هذه المقالةَ من رسولِ ا للهِ ﷺ لي ولأخي. أفَما في هذا حاجزٌ لكم عن سَفْكِ[1] دمي» !

(١) سَفَكَ دَمَهُ : أرَاقَهُ وأجراه ، أي قتله .

(٣) خُطَبٌ لزهيرِ بنِ القَيْنِ وعُبَيْدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ وسُلَيْمَانَ بنِ صُرَد

١ ـ خطبةٌ لزهيرِ بنِ القَيْنِ البَجليِّ في نُصْرَةِ وَلَدِ فاطمةَ الزَّهراء

تاريخ الرسل والملوك ٥: ٤٢٦

والكامل في التاريخ ٤: ٦٣

لـمَّا زَحَفَ جُنْدُ عمرَ بنِ سَعْدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ نَحْوَ الحُسَيْنِ بنِ عليٍّ وَوقَفُوا بإزائِـه ، و لم يَقْبَلُوا منه إلاّ الاسْتِسْلاَمَ أو القتالَ ، خـرجَ إليهـم زهـيرُ بـنُ القَيْـنِ البَجليُّ علـى فَـرَسٍ لـه في السِّلاحِ، وكان من أصْحَابِ الحُسَيْنِ، فقال :

« يا أهْلَ الكوفةِ، نَذارِ[١] لكم من عَذابِ اللهِ نَـذارِ! إنَّ حقًّا على المسلمِ نصيحةُ أخيهِ المسلمِ، ونحن حتى الآن إخوةٌ ، وعلى دين واحـدٍ ومِلَّةٍ واحـدةٍ ، مـالم يَقَـعْ بيننا وبينكم السيفُ ، وأنتم للنَّصيحةِ منا أهلٌ. فإذا وقَعَ السـيفُ انقطعـتِ العِصْمَـةُ[٢] وكنـا أُمَّةً[٣] وأنتم أُمةٌ. إنَّ اللهَ قد ابْتَلانا[٤] وإياكم بذرِّيَّـةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ ، لِيَنْظُرَ ما نحن وأنتـم عَامِلُونَ. إنَّا ندعوكم إلى نَصْرِهم وخِذْلانِ الطاغيةِ عُبيدِ اللهِ بنِ زياد، فإنَّكم لا تُدْرِكُـونَ منهمـا إلاّ بِسُـوءٍ، عُمْـرَ سـلطانِهما كلِّـه ، لِيَسْـمُلان أعينَكـم[٥]، ويقطِّعـان أيديَكـم وأرجلَكم، ويمثِّلان بكم، ويَرْفَعَانِكُمْ على جُذُوعِ النَّخْلِ، ويقتّلان أماثلَكم[٦] وقُرّاءَكـم، أمثالَ حُجر بن عَديٍّ وأصحابِه، وهانئ بنِ عروةَ وأشباهِهِ[٧] ».

---

(١) نَذار : اسم فعل ، بمعنى أنذركم .

(٢) العِصْمة : المَنعةُ والحِفْظُ والوِقاية .

(٣) الأُمَّة: الجماعة .

(٤) ابتلاه : اختبره وامْتَحَنَهُ .

(٥) سَمَلَ عينَهُ : فقأها بحديدةٍ مُحَمَّاة .

(٦) الأماثل : جمع أمْثل ، وهو الأفْضَلُ ، يقال : هؤلاء أماثل الناس، أي خيارهم .

(٧) فسبُّوه ، وأثنَوْا على عبيـدِ بن زيادٍ، ودَعَوْا له ، وقـالوا : واللهِ لا نَبْرحُ حتى نقتلَ صاحِبَك ومَنْ معه، أو نبعثَ به وبأصحابه إلى الأميرِ عُبيدِ اللهِ سِلْماً . (تاريخ الرسل والملوك ٥: ٤٢٦).

ثم قال :

«عبادَ ا للهِ ، إنَّ ولدَ فاطمةَ ـ رضوانُ ا لله عليها ـ أحقُّ بالودِّ والنَّصْرِ من ابن سُمَيَّةَ، فإنْ لم تَنْصُروهم فأُعيذكم با للهِ أنْ تَقْتلُوهم. فَخلُّوا بينَ الرجلِ وبينَ ابنِ عمِّه يزيدَ بن معاويةَ، فلعَمْري إنَّ يزيدَ لَيَرْضَى من طَاعَتِكم بدونِ قَتْلِ الحسين »

« عبادَ ا لله، لا يَغُرَّنَّكم من دينِكم هذا[1] الجلْف[2] الجافي[3] وأشباهُهُ، فوا لله لا تَنالُ شفاعةُ محمدٍ ﷺ ، قوماً هَراقوا دماءَ ذُرِّيتِهِ وأهلِ بَيْتِهِ ، وقَتَلُوا من نَصَرَهُمْ وذبَّ عن حَرِيمِهم»!

٢ ـ خُطْبَةٌ لِعُبَيدِ ا للهِ بنِ عبدِ ا للهِ المُرِيِّ بالكُوفَةِ، في التَّحْرِيضِ على الأخذِ بثأرِ الحُسَيْنِ بنِ عليٍّ

تاريخ الرسل والملوك ٥: ٥٥٩

كانَ عبيدُ ا للهِ بنُ عبدِ ا للهِ المُرِيُّ من دُعَاةِ الشِّيعَةِ بالكوفةِ زمانَ سُليمانَ بنِ صُرَدٍ الخُزاعيِّ، وكان إذا اجْتَمعَتْ إليه جماعةٌ من الناسِ فَخطَبهم بدأ بحَمْدِ ا للهِ والثَّناءِ عليه، والصَّلاة على رَسُولِ ا للهِ ﷺ ، ثم يقولُ:

« أما بعدُ ، فإنَّ ا للهَ اصطفى محمداً ﷺ ، على خلقِهِ بنبوّتِهِ، وخصَّه بالفضلِ كلِّهِ ، وأعزَّكم باتباعِهِ وأكْرَمَكم بالإيمانِ به، فحَقَن به[4] دماءكم المسفوكة ، وأمَّن به سُبُلَكم. المَخُوفة، ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[آل عمران: ١٠٣].

---

(١) يريد شَمِرَ بنَ ذي الجَوْشَنِ، وكانَ رَماهُ بسهمٍ، وقال : اسكتْ أسكتَ ا لله نـأمتَك ، أبرمْتَنا بكثرة كلامك! فقال له زهير : يا ابنَ البَوَّال على عَقِبَيْه، ما إيَّاك أخاطبُ ، إنما أنتَ بَهيمةٌ! وا للهِ ما أظُنُّكَ تُحكِم من كتابِ ا لله آيتين، فأبشِرْ بالخزي يومَ القيامةِ والعذاب الأليم! فقال له شَمِرٌ : إنَّ ا لله قاتِلُكَ وصاحِبَكَ عن ساعةٍ . قال : أفبالْمَوتِ تُخوِّفني! فناداه رجلٌ فقال له: إنَّ أبا عبدِ ا للهِ يقولُ لك: أقْبِلْ، فلعَمري لئن كان مؤمنُ آلِ فرعونَ نَصَحَ لقومِهِ وأبلَغَ في الدعاء، لقد نَصَحْتَ لهؤلاء وأبلغتَ لو نفعَ النُّصْحُ والإبلاغ! (تاريخ الرسل والملوك ٥: ٤٢٦).

(النأمة : الصوتُ الضَّعيفُ الخَفيُّ) .

(٢) الجلْفُ : الأعْرَابيُّ الجافي في خَلْقِهِ وخُلُقِهِ، شُبِّهَ بجلْفِ الشَّاة ، وهو بَدَنُ الشاة المَسْلُوخة بلا رَأسٍ ولا بَطْنٍ ولا قوائم ، أي أنَّ جَوْفَهُ هواءٌ لا عَقْلَ فيه .

(٣) الجافي : الكَزُّ الغليظ العِشْرَة، والخُرْق في المعاملة، والتَّحامل عندَ الغَضَبِ، والسَّوْرة على الجليس .

(٤) حَقَنَ دَمَه : مَنَعَهُ أن يُسفَكَ ، أو حَلَّ به القَتْلُ فأنقَذَه.

فهل خَلَقَ ربُّكم في الأوَّلينَ والآخرين أعظمَ حقًّا على هذه الأمة من نَبيِّها؟ وهل ذرِّيةُ أحدٍ من النَّبيِّين المرسلين أو غيرهم أعظمُ حقًّا على هذه الأمةِ من ذرِّيَّةِ رَسُولها؟ لا وا لله، ما كانَ ولا يكونُ. للهِ أنتم! ألمْ تروْا ويَبْلُغكم ما اجترم[١] إلى ابن بنت نبيِّكم! أما رأيتم إلى انتهاك القوم حُرمتَه[٢] واستضعافهم وَحدتَه، وتَرْمِيلِهم[٣] إيَّاه بالدّم، وتجرارهمُوه على الأرض! لَمَ يرقُبوا فيه[٤] ربّهم ولا قرابتَهُ من الرسول ﷺ ؛ اتَّخذوه للنبل غرضاً[٥]، وغادَرُوه للضِّباع جَزَراً[٦]. فللهِ عينًا من رأى مِثلَه! و لله حُسَيْنُ بنُ عليٍّ ، ماذا غَاذروا به ذا صِدْقٍ وصَبر، وذا أمانةٍ ونَجْدةٍ وحَزْمٍ! ابنُ أوَّلِ المسلمينَ إسلاماً ، وابنُ بنتِ رسولِ ربِّ العالمين ، قلَّتْ حُماتُه، وكَثُرَتْ عُداتُهُ حولَه ، فقتَله عدوُّهُ ، وخذَلَه وليُّه. فويل للقاتِل، وملامة للخاذِل! إنَّ ا لله لم يجعل لقاتلِهِ حُجَّةً، ولا لخاذِله مَعْذِرةً، إلاَّ أنْ يُناصحَ[٧] للهِ في التوبةِ ، فَيُجَاهِدَ القاتلينَ، ويُنَابذ[٨] القاسِطينَ[٩]. فَعَسَى ا للهُ عندَ ذلك أنْ يقبل التوبةَ ، ويُقيل العثرة[١٠]. إنا نَدْعُوكم إلى كتاب ا لله وسنَّةِ نبيِّه، والطلبِ بدماء أهلِ بيتِهِ، وإلى جهادِ المُحلِّين[١١] والمارقين[١٢]، فإنْ قُتِلنا فما عندَ ا للهِ خيرٌ للأبرارِ، وإنْ ظَهَرنا رددْنا هذا الأمرَ إلى أهلِ بيتِ نبيِّنا».

---

(١) جَرَمَ إليه جريمةً واجْتَرَم : جَنَى جنايةً .

(٢) الحُرْمة : الذمَّةُ وما لايَحِلُّ لك انْتهاكُهُ .

(٣) رَمَّله بالدَّم : لَطَخَهُ به ، وضَمَّخه وضَرَّجَهُ .

(٤) رَقِبَ رَبَّه : خَشِيَهُ وخافه .

(٥) الغَرَضُ : الهَدَف.

(٦) الجَزَرُ : جمع جَزَرةٍ ، وهي الشاةُ التي تُعْطَى للذَّبح .

(٧) ناصَح في التَّوْبة : أخلَصَ فيها وصَدَق .

(٨) نابذه الحرب : أظهَرَ له العَزْمَ على قتالِهِ وأخبرَهُ به إخباراً مكشوفاً .

(٩) القاسطون : جَمْعُ قاسطٍ ، وهو الجائر عن الحقِّ .

(١٠) أقالَ عَثْرَتَهُ : صَفَحَ عنه .

(١١) المُحِلُّون : جمع مُحِلٍّ ، وهو الذي يَحِلُّ لك قِتالُهُ ، أو الذي لا عَهْدَ له ولا حُرْمَة.

(١٢) المارقون : جمع مارقٍ ، وهو الذي يَجُوزُ الدِّينَ ويَخْرُقُهُ ويَتَعَدَّاهُ كما يَخْرُقُ السَّهْمُ الرميَّ به ويَخْرُج منه .

٣ ـ خُطْبَةٌ لِسُلَيْمانَ بنِ صُرَدَ الخُزَاعيِّ بالكُوفةِ، حين أرادَ المَسِيرَ للطَّلَبِ بدمِ الحُسَيْنِ بنِ عليٍّ

تاريخ الرسل والملوك ٥: ٥٨٨

لـمَّا أرادَ سُليمانُ بنُ صُرَدَ الخُزَاعيُّ الشُّخُوصَ من النُّخَيْلَةِ إلى عبيدِ اللهِ بـن زيـادٍ بالشَّـام للطَّلَبِ بدمِ الحُسَيْن بنِ عليٍّ سنة خمسٍ وستين، وجَدَ أن الشيعةَ من أهْلِ البصرة وأهْلِ المدائن لم يُوافُوا لميعادِهم، فأقْبَلَ نَاسٌ من أصحابِهِ يُلْزِمُونهم ، فقالَ : لا تُلْزِمُوهم، فـإني لا أراهـم إلاَّ سَيُسْرِعُونَ إليكم لو قَدِ انْتهى إليهم خبرُكم وحِينَ مَسِيرِكم، ولا أراهم خَلَّفَهـم ولا أقْعَدهـم إلاَّ قِلَّةُ النَّفَقَةِ، وسوءُ العُدَّةِ ، فأقِيمُوا لِيَتَيَسَّرُوا ويَتَجهَّزُوا ويَلْحَقُوا بكم. ثم قام في الناسِ خطيباً فحمدَ اللهَ وأثنى عليه ، ثمَّ قالَ :

« أمَّا بعـدُ، أيُّهـا النـاس، فإنَّ اللهَ قـد عَلِـمَ مـا تَنْوُونَ ، ومـا خَرَجْتُـمْ تَطلبُونَ، وإنَّ للدُّنيـا تُجَّاراً، وللآخرة تُجَّاراً . فأمّا تاجُر الآخرة فَساعٍ إليها ، مُتَنَصِّبٌ[١] بَطَلَبِها ، لا يَشْتَري بها ثمناً، لا يُرى إلاّ قائماً وقاعداً ، وراكعاً وساجداً، لا يطلبُ ذهباً ولا فضّة، ولا دنيا ولا لذّةً. وأمَّا تاجرالدُّنيا فمُكِبٌّ[٢] عليها، راتعٌ[٣] فيها، لا يَبْغي بها بَدَلاً. فعليكم، يَرْحَمُكم اللهُ، في وَجهكم هذا بطُولِ الصَّلاةِ في جَوْفِ الليلِ، وبذْكرِ اللهِ كثيراً على كلِّ حال. وتَقَرَّبُوا إلى اللهِ جلَّ ذكره بكل خير قَدرتُمْ عليـه، حتّى تَلْقَوا هذا العدوَّ والـمُحلَّ[٤] القاسطَ[٥] فتجاهدُوهُ، فـإنكم لـن تَتَوسَّلوا[٦] إلى ربّكـم بشـيءٍ هـو أعظمُ عنـده ثواباً من الجهادِ والصلاةِ، فإنّ الجهادَ سَنامُ[٧] العمل. جعلنَا اللهُ وإيَّاكم من العبـادِ الصَّـالحين ، المجاهدينَ الصابرينَ على اللَّأواء[٨] ! وإنّا مُدْلِجون[٩] الليلةَ من مَنْزِلنا هذا إنْ شاءَ اللهُ، فأدْلِجوا ».

---

(١) مُتَنَصِّبٌ: قائمٌ مُتَجَرِّدٌ .

(٢) أكبَّ على الشيء : أقبَلَ عليه ولازَمَهُ و لم يُفَارِقْهُ .

(٣) رَتَعَ : أكل ما شاء في رَغَدٍ .

(٤) الـمُحِلُّ : الذي يَحِلُّ لك قِتَالُه ، أو الذي لا عهدَ له ولا حُرْمَة .

(٥) القاسط : الجائرُ عن الحَقِّ .

(٦) تَوَسَّل إلى الله : تَقَرَّب إليه .

(٧) سنام العمل : خَيْرُ العَمل ، لأن السَّنامَ خِيَارُ ما في البعير .

(٨) اللأواء : الشِّدَّة .

(٩) الـمُدْلِجُونَ : جَمْعُ مُدْلِجٍ ، وهو الذي يسير من أول الليل .

(٤) خُطَبٌ للمُختارِ بن أبي عُبَيْدٍ الثَّقَفيِّ

١ ـ خطبةٌ للمُختارِ بنِ أبي عُبَيْدٍ بالكُوفةِ

أنساب الأشراف ٥: ٢١٨

قَدِمَ المختارُ بنُ أبي عُبَيْدٍ الثَّقَفيُّ الكُوفَةَ سنةَ أربعٍ وسِتِّينَ ، وجَعَلَ يَدْعُو الشِّيعَةَ إلى نَفْسِه وإلى الطَّلَبِ بدَمِ الحسينِ بنِ عليٍّ . ومازالَ بالشِّيعةِ حتى انْشَعَبَتْ إليه طائفةٌ منهم، تُعَظِّمُهُ وتُجيبُهُ وتَنْتَظِرُ أمْرَهُ. وعُظمُ الشِّيعةِ مع سليمانَ بنِ صُرَدَ الخُزاعيِّ، فكان سليمانُ أثْقَلَ النَّاسِ على المُخْتار. فلمَّا اجتَمعَتِ الشِّيعَةُ إلى المختارِ حَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، ثمَّ قالَ:

«أمَّا بعدُ، فإنَّ المهديَّ ابنَ الوَصيِّ محمدَ بنَ عليٍّ بعثني إليكم أميناً ووزيراً ومُنْتَجَباً[1] وأميراً، وأمرني بقِتالِ المُحلِّين[2]، والطَّلَبِ بدماءِ أهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ» .

٢ ـ خُطْبَةٌ للمُخْتارِ بنِ أبي عُبَيْدٍ بسِجْنِ الكُوفَةِ

أنساب الأشراف ٥: ٢١٨

وتاريخ الرسل والملوك ٥: ٥٨١

وكتاب الفتوح ٦: ٧٥

والكامل في التاريخ ٤: ١٧٣

عزلَ عبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ عبدَ اللهِ بنَ مَسْعُودٍ الهُذَليَّ عن الكوفةِ، وجَعَلَ عبدَ اللهِ ابنَ يزيدَ الخَطَمِيَّ على الصَّلاةِ والحَرْبِ، وإبراهيمَ بنَ محمدِ بنِ طَلْحَةَ التَّيْمِيَّ على الخراج. فأتاهما عمرُ بنُ سَعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ، ويزيدُ بنُ الحارثِ بن رُوَيمٍ الشَّيْبانيُّ، وشَبَثُ بنُ ربعيٍّ الرِّياحيُّ، فقالُوا لهما : إنَّ سليمانَ بنَ صُرَدَ يريدُ قِتالَ أعْدَائِكُما، وإنَّ المُخْتارَ يريدُ الوُثُوبَ بكما في مِصْرِكما، والإفسَادَ عليكما، فأخَذاهُ فَحَبَساهُ وقَيَّدَاهُ. فكانَ المختارُ يَقُولُ في السِّجْنِ :

---

(١) المُنْتَجَبُ : المختار من كل شيء . وقد انْتَجَبَ فلانٌ فلاناً إذا اسْتَخْلَصَهُ واسْتَصْفَاه اختياراً على غيره .

(٢) المُحِلُّون: جمع مُحِلٍّ ، وهو الذي يَحِلُّ لك قِتالُه ، أو الذي لا عَهْدَ له ولا حُرْمَة .

«أما وربِّ البحار، والنَّخْل والأشْجار، والـمَهامِهِ[١] والقِفار[٢]، والملائكةِ الأبرار، والـمُصطَفَيْنَ الأخيار، لأقْتُلنَّ كلَّ جَبَّار، بكلِّ لَدْنٍ[٣] خطّار[٤]، ومهنَّدٍ[٥] بتّار[٦]، في جُموعٍ من الأنْصَار، ليسوا بميلٍ[٧] أغمار[٨]، ولا عُزْلٍ[٩] أشرار. حتّى إذا أقمتُ عَمودَ[١٠] الدين، ورَأبْتُ[١١] صَدْعَ[١٢] المسلمين، وشَفَيْتُ غليلَ[١٣] صُدورِ المؤمنين، وأدرَكْتُ ثأر أبناء النَّبيِّين، لم يَكبُرْ[١٤] عليّ فِراقُ الدنيا، ولم أحْفِلْ بالموتِ[١٥] إذا أتى»!

٣ ـ خُطْبَةٌ للـمُخْتارِ بنِ أبي عُبَيْدٍ بالكُوفَةِ

أنساب الأشراف ٥: ٢١٩

كان المختارُ بنُ أبي عبَيْدٍ الثَّقَفيُّ يَسْجَعُ بعدَ خُرُوجِ سُلَيْمانَ بنِ صُرَدَ الخُزاعيِّ إلى الجزيرة، فَيقُولُ:

---

(١) الـمَهَامِهُ : جمع مَهْمَهٍ، وهي المفازة الواسعة البعيدة لا ماء بها ولا أنيس .

(٢) القِفَارُ : جمع قَفْرٍ ، وهو الخَلاَءُ من الأرض .

(٣) اللَّدْنُ : الرُّمْحُ اللَّيِّنُ .

(٤) الخطّار : الـمُهْتَزُّ .

(٥) سَيْفٌ مُهَنَّدٌ: عُمِلَ ببلادِ الهِنْدِ وأُحْكِمَ عَمَلُهُ.

(٦) البَتّار : القاطع .

(٧) الـميلُ : جمع أمْيَل ، وهو الجبان .

(٨) الأغمار : جمع غِمْرٍ ، وهو الجاهل الغِرُّ الذي لم يُجَرِّب الأمورَ ، ولم تُحَنِّكْه التّجاربُ .

(٩) العُزْل : جمع أعْزَل ، وهو مَنْ لا سلاح معه .

(١٠) عَمُودُ الأمر : قِوامُهُ الذي لا يَسْتَقيمُ إلاّ به .

(١١) رأب : أصْلَح .

(١٢) الصَّدْع : الشَّقُّ . يعني تَفَرُّقَ المسلمين واختلافَ آرائهم وأهوائهم .

(١٣) الغليل : الضِّغْنُ والحِقْدُ .

(١٤) لم يَكْبُرْ عليَّ فِراقُ الدُّنيا : لم يَشُقَّ عليَّ ولم يَعْظُمْ في نفسي .

(١٥) لم أحْفِلْ بالموت : لم أبَال به .

«عدُّوا لِغَزِيِّكم[١] أكثرَ من عَشْر، وأقلَّ مـن شَـهْر، فليـأتينَّكم نبـأ هِـتْر[٢]، وطَعْنٌ نَـتْر[٣]، وضَرْبٌ هَبْر[٤]، وقَتْلٌ جَمٌّ[٥]، وأمْرٌ قد حُمَّ[٦]. فمن لها يومئذٍ، إنَّا لها» .

٤ ـ خطبةٌ للـمُختارِ بن أبي عُبَيْدٍ بالكُوفة

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٣٢
وكتاب الفتوح ٦: ١١٣
والفرق بين الفرق ص: ٣٠
والكامل في التاريخ ٤: ٢٢٥

لـمَّا غلبَ المختَارُ بنُ أبي عُبَيْدٍ على الكوفةِ بَايَعهُ النَّاسُ، ثمَّ دخلَ قصرَ الإمارة فباتَ فيـه . وأصْبَحَ أشرافُ الناسِ في المسجدِ وعلى بابِ القَصْرِ ، وخرجَ المختار فَصَعِـدَ المنبرَ، فحمـدَ الله وأثنَى عليه، ثم قال :

« الحمدُ للهِ الذي وعدَ وليَّهُ النصـرَ ، وعـدوَّهُ الـخُسْرَ[٧] ، وجعلـه فيـه إلى آخـر الدهـر، وَعْداً مَفْعُولاً ، وقضاءً مَقْضِيًّا ، وقد خابَ[٨] من افترى[٩]. أيُّها النـاس ، إنَّه رُفِعـتْ لنـا رايـةٌ ، ومُدَّتْ لنا غايةٌ . فقيلَ لنا في الرَّاية : أن ارفعوها ولا تَضَعوها ، وفي الغاية : أن اجْروا إليهـا ولا تَعدوهـا. فسـمعْنا دعـوةَ الداعـي ، ومقالـةَ الرَّاعـي[١٠] ، فكـم مـن نـاعٍ[١١] وناعيـة، لقتلَـى في

(١) الغَزِيُّ : جمع غازٍ ، وهو السَّائر إلى قِتال العَدُوِّ وانْتِهابه .
(٢) الهِتْرُ : الكذبُ والباطل والسَّقطُ من الكلام .
(٣) النَّتْر : الناهدُ الذي يَخْتَلِسُهُ الطَّاعِنُ اختلاساً، وهو من فِعْل الحُذّاق.
(٤) الهَبْر : القاطع الذي يقطع اللحمَ فَيُلْقِيه .
(٥) الجم : الكثير الشامل .
(٦) حُمَّ : قُدِّرَ وقُضِيَ .
(٧) الخُسْرُ : الضَّلال والهلاك.
(٨) خاب : حُرِمَ ولم ينلْ ما طَلَبَ .
(٩) افترى : كَذَب .
(١٠) الراعي : وَلِيُّ أمْرِ القَوْم ، أو عَيْنُ القَوْمِ على العَدُوِّ .
(١١) الناعي : الذي يأتي بخبر الميِّتِ .

الواعية[١]! وبُعداً لمن طَغَى، وأدْبرَ وعَصَى، وكذّب وتولّى. ألا فادْخُلُوا أيُّها النـاسُ فبـايعوا بيعـةَ هُدًى، فلا والذي جَعلَ السماءَ سَقْفاً مَكْفُوفاً[٢]، والأرضَ فجَاجاً[٣] سُبُلاً[٤]، ما بايعتم بعد بيعةِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ وآلِ عليٍّ أهْدَى منها» .

٥ ـ خطبةٌ للـمُختارِ بن أبي عُبَيْدٍ بالكُوفَةِ

الفرق بين الفرق ص: ٣١

والكامل للمبرد ٣: ٢٦٤

لـمَّا تَمَّتْ للمختار بنِ أبي عُبَيْدٍ ولايـةُ الكُوفَـةِ والجَزيـرةِ والعِراقَيْـنِ إلى حُـدُودِ أرْمينيَّـةَ، تَكهَّنَ بعد ذلك وسَجعَ كأسْجاعِ الكَهنةِ، وحُكِيَ أيضاً أنه ادَّعَى نُزُولَ الوَحْيِ عليـه ، فمـن أسْجاعِهِ قوله:

«أمَا والذي أَنْزلَ القرآنَ، وبَيَّنَ الفُرْقَانَ ، وشَرَعَ الأدْيانَ، وكَـرِهَ العِصْيَـانَ، لأقْتُلَـنَّ البُغَاةَ من أزدِ عُمـانَ، ومَذْحِجٍ وهَمَـدانَ ، ونَهْـدٍ وخَـوْلانَ، وبكرٍ وهـزَّانَ، وتُغْـلٍ ونَبْهَـانَ، وعَبْـسٍ وذُبْيان، وقَيْسِ غَيْلانَ ».

ثم قال : « وحقِّ السَّميعِ العليم، العليِّ العظيمِ، العزيزِ الحكيمِ ، الرحمنِ الرَّحيمِ، لأعْرُكَـنَّ عَرْكَ[٥] الأديمِ[٦] أشْرَافَ بني تميمٍ»!

(١) الواعية : الصُّراخ على الميت ونَعْيُهُ .

(٢) المكفوف : المجموع المضموم .

(٣) الفجاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع بين جبلين، وقيل : في جبل .

(٤) السُّبُلُ: جمع سبيلٍ، وهي الطريق وما وَضَحَ منه .

(٥) عَرَكَ الأديمَ وغيره : دَلَكَهُ . والمراد لأحْمِلَنَّ الشَّرَّ عليهم ، ولأوقِعَنَّ بهم .

(٦) الأديم : الجلد .

٦ ـ خطبةٌ للمُختارِ بن أبي عُبَيْدٍ بالكُوفَةِ

كتاب الفتوح ٦: ١١٤

والفرق بين الفرق ص: ٣١

خطبَ المختارُ بنُ أبي عبُيْدٍ بالكوفة ، فقال:

« أَمَا ومُنْشىءِ السَّحابِ ، الشَّديدِ العِقَابِ، السَّريعِ الحسابِ، مُنَزِّلِ الكتابِ، العزيزِ الوَهَّابِ، القديرِ الغَلاَّبِ، لأنبشنَّ قبرَ ابنِ شهابٍ[١]، المُفْتَري الكَذَّاب، المجرمِ المُرْتَابِ، ولأنفينَّ الأحزابَ، إلى دارِ بلادِ الأعرابِ. ثم وربِّ العالمينَ، وربِّ البلدِ الأمينِ، وحرمةِ طورِ سينينَ، لأقتلنَّ الشاعرَ الهجينَ ، أعشَى[٢] الباغِضين، وشويعرَ الحَنْظلينَ ، وراجزَ البارقين[٣] ، وابنَ همَّامٍ اللعينَ[٤] ، وأولياءَ الكافرينَ، وأعوانَ الظَّالمين، وبقايا القَاسطين[٥] ، وإخوان الشَّياطِين، الذين اجتمعوا على الأباطيل، وتَقَوَّلُوا عليَّ الأقاويل، وتمثَّلُوا بالأماثيل، وجاءوا بالأماحِيل ، وتسكَّعُوا[٦] في الأضاليل، بأقوال المجاهيل، الكَذَبةَ الأراذيل. ألا فَطُوبَى[٧] لعبدِ اللهِ، وعبيدٍ وأخي ليلةِ الطريدةِ، ولذي الأخلاقِ الحميدةِ، والعزائمِ الشديدة، والمقالاتِ الرَّشيدة، والأفاعيلِ السَّديدةِ ، والآراء العتيدةِ[٨] ، والنفوس السَّعيدةِ».

---

(١) يريد مسلمَ بن شهابٍ الزهريَّ ، وكان مع ابن الزبير. (انظر المعارف ص: ٤٧٢ ، ووفيات الأعيان ٤: ١٧٨) .

(٢) يريد أعشى هَمْدَان . (انظر تاريخ الرسل والملوك ٦: ٥٩) .

(٣) يريد سراقة البارقي . (انظر تاريخ الرسل والملوك ٦: ٥٤) .

(٤) يريد عبد الله بن همام السَّلولي . (انظر تاريخ الرسل والملوك ٦: ٣٥) .

(٥) القاسطون: جمع قاسط ، وهو الجائر .

(٦) تسكع في الضلالة : تمادَى فيها .

(٧) طوبى له، أي: العيشُ الطيب له، أو الحُسْنَى له أو الخَيْرُ له أو الجَنَّة له .

(٨) العتيدة: الحاضرة .

٧ ـ خطبةٌ للمختارِ بن أبي عُبَيْدٍ بالكُوفةِ

كتاب الفتوح ٦: ١١٤

والفرق بين الفرق ص: ٣٢

خطبَ المختارُ بنُ أبي عبُيْدٍ بالكوفة ، فقالَ:

«أَمَا والذي جَعلني بصيراً ، ونوَّرَ قلبي تنويراً ، لأحرقنَّ بالمصرِ دُوراً ، ولأنبشنَّ بها قبوراً، ولأشفين[١] بها صُدوراً، ولأقتلنَّ جباراً كفوراً ، مَلْعُوناً وغَدُوراً، وكفَى بالله هادياً ونصيراً. وعن قليلٍ ورب الحَرَمِ، والبيتِ المُحَرَّم، والرُّكْنِ المُكَرَّمِ ، والمسجدِ المُعَظَّمِ، وحَقِّ النُّونِ والقلمِ، لَيُرفَعَنَّ لِيَ العَلَمُ، من الكوفةِ إلى إضمِ[٢]، إلى أكنافِ[٣] ذي سَلَمٍ[٤]، من العربِ والعَجَمِ، ثم لأتَّخِذَنَّ من بني تميمٍ أكثرَ الخَدَمِ » !

(١) شفاه : أبْرَأهُ من المَرَضِ . يريد: لأُنَفِّسَنَّ عنها ما تَجِدُ، ولأَسْتَلَّنَّ ما بها من الغَيْظِ والحِقْدِ.

(٢) إضم : وادٍ بجبال تهامة ، وهو الوادي الذي فيه المدينة ، وهو يَشُقُّ الحجازَ حتّى يُفْرِغ في البحر .

(٣) الأكناف : جمع كَنَف ، وهو الناحية .

(٤) ذو سلم: وادٍ ينحدر على الذنائب في أرض بني النَّكَّاء على طريق البصرة إلى مكة .

obeikandl.com